موضوع الخطبة : فضل الشكر

الخُطبة الأُولى

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرسَلِينَ، وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمَعِينَ.
أمّا بَعدُ، أيُّها المُسلِمُون:

فاتَّقُوا اللهَ تبلُغُوا رِضوانَهُ وجنَّاتِهِ، وتنجُوا مِن غضبِهِ وعُقوباتِهِ.

عبادَ اللهِ:
إنَّ رَبَّكُم - جلَّ وعلا - يُذكِّرُكُم بنِعَمِهِ العامَّةِ والخاصَّةِ، لتشكُرُوهُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (فاطر: 3).
وقالَ تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 7).
وقالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: 20).

وأخبرَنا - عزَّ وجلَّ - أنَّ النِّعَمَ كلَّها مِنهُ؛ لنقومَ بِحَقِّهِ - تباركَ وتعالى - في العبادةِ والشُّكرِ، ونرغَبَ إليهِ في الزِّيادةِ، قالَ اللهُ تعالى:
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: 53).
وقالَ تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء: 79).

فالحسناتُ تُصيبُ الإنسانَ تفضُّلًا مِن اللهِ ورحمةً مِن جميعِ الوُجوهِ، والسيِّئاتُ بسببٍ مِن الإنسانِ، واللهُ كتبَها وقدَّرَها، ولا يظلِمُ الرَّبُّ - عزَّ وجلَّ - أحدًا مثقالَ ذرَّةٍ.
وقالَ تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 251).

والنَّاسُ يعلَمُون كثيرًا مِن النِّعَمِ، ويجهَلُون أكثرَها. فكَم مِن نعمةٍ ساقَها اللهُ إليكَ - أيُّها الإنسانُ - ومَتَّعَكَ بها وأنتَ لا تشعُرُ بها؟! وكم مِن شرٍّ ومُصيبةٍ دفَعَها اللهُ عنكَ وأنتَ لا تعلمُها؟!

قالَ اللهُ تعالى في حِفظِ الإنسانِ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: 11).
وقالَ تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: 13).
والكثيرُ مِن أعضاءِ البَدَنِ تقومُ بعملِها لنفعِ البَدَنِ وحياتِهِ بغيرِ إرادةٍ مِن الإنسانِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: 21).
وقالَ تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: 18).

ومَن لا يقدِرْ أن يُحصِيَ النِّعَمَ، فهو بجهَلُ أكثرَها. ومنَّ اللهُ تعالى بالنِّعَمِ لتُسخَّرَ في طاعةِ اللهِ وعبادتِهِ، وعِمارةِ الأرضِ وإصلاحِها،
قالَ اللهُ تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (النحل: 81).
وقالَ تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: 78).

فشُكرُ النِّعَمِ يكونُ باجتماعِ أمورٍ: محبَّةُ المُنعِمِ - جلَّ وعلا - على نعمِهِ، والخُضوعُ للهِ - سبحانه وتعالى - لما أنعمَ عليكَ، مع تيقُّنِ القلبِ أنَّ كلَّ نعمةٍ تفضُّلٌ وإحسانٌ مِن اللهِ على العبدِ مِن جميعِ الوُجوهِ، والثناءُ على الرَّبِّ باللِّسانِ بهذه النِّعَمِ، واستعمالُها فيما يُحبُّ اللهُ ويرضَى.
فمَن استخدمَ نعمَ اللهِ فيما يُحبُّ اللهُ ويرضَى، فقد شكَرَها. ومَن استخدمَها في المعاصي، فقد كفَرَها.
وألا يُبطِرَهُ الغُرورُ، ولا يقولَ إنَّهُ أفضلُ مِن غيرِهِ بها، فإنَّ اللهَ يبتلي بالخيرِ والشرِّ؛ ليعلمَ الصابِرِينَ والشاكِرِينَ.
قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (لقمان: 31).

وكتبَت عائشةُ - رضيَ اللهُ عنها - لمُعاويةَ - رضيَ اللهُ عنه -: "إنَّ أقلَّ ما يجبُ للمُنعِمِ على مَن أنعَمَ عليه ألا يجعلَ ما أنعَمَ به سَبيلًا إلى معصيتِهِ".
وفوقَ الشُّكرِ على النِّعَمِ: الشُّكرُ على المِحنِ والبَلاءِ، والحمدُ للهِ على المكروهَاتِ.
قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152).
وقالَ تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 6).

وقالَ تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 172).
وقالَ النبيُّ (ﷺ): "أحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكم به من نِعَمِه، وأحِبُّونِي لحُبِّ اللهِ، وأحِبُّوا أهْلَ بَيْتِي لحُبِّي".
وقد وعدَ اللهُ الشاكِرِينَ بدوامِ النِّعَم وزيادَتِها: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: 7).

أقولُ قولي هذا، وأستغفِرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمينَ مِن كلِّ ذنبٍ؛ فاستغفِروه، إنَّهُ هو الغفورُ الرَّحيمُ.

الخُطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، والعاقبةُ للمتَّقِين، ولا عُدوانَ إلَّا على الظَّالِمِين.
وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، عبادَ اللهِ:
الشُّكرُ مقامُ الأنبياءِ والمُرسَلينَ - عليهمُ السَّلامُ - وعبادِ اللهِ الصَّالحينَ. قالَ تعالى عن نوحٍ - عليه السَّلامُ -:
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: 3).
وقالَ تعالى عن إبراهيمَ - عليه السَّلامُ -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: 120-121).
وقالَ تعالى لموسى - عليه السَّلامُ -: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 144).
وعن عائشةَ - رضيَ اللهُ عنها - قالت: "كانَ النبيُّ (ﷺ) يقومُ مِن الليلِ حتى تتفطَّرَ قدماهُ، فقُلتُ له: يا رسولَ اللهِ! أتصنَعُ هذا وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِن ذنبِكَ وما تأخَّرَ؟! فقالَ (ﷺ): «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟!»".

أيُّها الأحبَّةُ في اللهِ:
الشاكِرونَ هم أهلُ نعمةِ اللهِ الذين يختصُّهم بما لا يُعطِي غيرَهم. قالَ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: 53).
وقالَ تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: 13).
فدُم - أيُّها العبدُ الشاكِرُ - على شُكرِ اللهِ، واستقِم على طاعتِهِ؛ فإنَّ مَن وفَّى مع اللهِ وفَّى اللهُ لهُ.
قالَ تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: 40).

هذا وصلُّوا وسلِّموا على سيِّدنا ونبيِّنا محمَّدٍ كما أمركُم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا، فقال قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56).

اللَّهُمَّ اجعلنا مِن الشاكِرِينَ لنِعَمِكَ، القائِمِينَ بحقِّكَ، المُخلِصِين لكَ في القولِ والعملِ.
وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ.